@ 238 @ أوقدوا نارا للحرب أطفأها ا ويسعون في الأرض فسادا وا لا يحب المفسدين * ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ومآ أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم سآء ما يعملون) ^ يخبر تعالى ، عن مقالة اليهود الشنيعة ، وعقيدتهم الفظيعة ، فقال : ^ (وقالت اليهود يد ا مغلولة) ^ أي : عن الخير والإحسان ، والبر . ^ (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) ^ وهذا دعاء عليهم ، بجنس مقالتهم . فإن كلامهم متضمن لوصف ا الكريم ، بالبخل ، وعدم الإحسان . فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم . فكانوا أبخل الناس ، وأقلهم إحسانا ، وأسوأهم ظنا با ، وأبعدهم عن رحمته ، التي وسعت كل شيء ، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي . ولهذا قال : ^ (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) ^ لا حجر عليه ، ولا مانع يمنعه ، مما أراد . فإنه تعالى ، قد بسط فضله ، وإحسانه الديني والدنيوي ، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده ، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه ، بمعاصيهم . فيده سحاء الليل والنهار ، وخيره في جميع الأوقات مدرارا . يفرج كربا ، ويزيل غما ، ويغني فقيرا ، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا ، ويجيب سائلا ، ويعطي فقيرا عائلا ، ويجيب المضطرين ، ويستجيب للسائلين . وينعم على من لم يسأله ، ويعافي من طلب العافية ، ولا يحرم من خيره عاصيا . بل خيره ، يرتع فيه البر والفاجر ، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال . ثم يحمدهم عليها ، ويضيفها إليهم ، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ، ما لا يدركه الوصف ، ولا يخطر على بال العبد . ويلطف بهم في جميع أمورهم ، ويوصل إليهم من الإحسان ، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه . فسبحان من كل النعم ، التي بالعباد ، فمنه ، وإليه يجأرون في دفع المكاره . وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه . وتعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين ، بل ولا وجود لهم ، ولا بقاء إلا بجوده . وقبح ا من استغنى بجهله عن ربه ، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله . بل لو عامل ا اليهود القائلين تلك المقالة ، ونحوهم ممن حاله كحالهم ، ببعض قولهم ، لهلكوا ، وشقوا في دنياهم . ولكنهم يقولون تلك الأقوال ، وهو تعالى ، يحلم عنهم ، ويصفح ، ويمهلهم ، ولا يهملهم . وقوله : ^ (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) ^ . وهذا من أعظم العقوبات على العبد ، أن يكون الذكر الذي أنزله ا على رسوله ، الذي فيه حياة القلب والروح ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وفلاح الدارين ، الذي هو أكبر منه ، امتن ا بها على عباده ،

توجب عليهم المبادرة إلى قبولها ، والاستسلام بها ، وشكرا عليها ، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه ، وطغيان إلى طغيانه ، وكفر إلى كفره . وذلك ، بسبب ، إعراضه عنها ، ورده لها ، ومعاندته إياها ، ومعارضته لها ، بالشبه الباطلة . ^ (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) ^ فلا يتألفون ، ولا يتناصرون ، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم . بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم ، متعادين بأفعالهم ، إلى يوم القيامة . ^ (كلما أوقدوا نارا للحرب) ^ ليكيدوا بها الإسلام وأهله ، وأبدوا ، وأعادوا ، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ^ (أطفأها ا) ^ بخذلانهم ، وتفرق جنودهم ، وانتصار المسلمين عليهم . ^ (ويسعون في الأرض فسادا) ^ أي : يجتهدون ويجدون ، ولكن بالفساد في الأرض . أي : بعمل المعاصي ، والدعوة إلى دينهم الباطل ، والتعويق عن الدخول في الإسلام . ^ (وا يحب المفسدين) ^ بل يبغضهم أشد البغض ، وسيجازيهم على ذلك . ثم قال تعالى : ^ (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) ^ . وهذا من كرمه وجوده ، حيث لما ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم ، وأقوالهم الباطلة ، دعاهم إلى التوبة ، وأنهم لو آمنوا با وملائكته وجميع كتبه ، وجميع رسله ، واتقوا المعاصي ، لكفر عنهم سيئاتهم ، ولو كانت ما كانت ، ولأدخلهم جنات النعيم ، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . ^ (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) ^ أي : قاموا بأوامرها ، كما ندبهم ا وحثهم . ومن إقامتهما الإيمان بما دعوا إليه ، من الإيمان بمحمد صلى ا عليه وسلم وبالقرآن . فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة ، التي أنزلها ربهم إليهم ، أي : لأجلهم وللاعتناء بهم ^ (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ^ أي : لأدر ا عليهم